فَحِيحٌ

ليلتُها هذه تختلفُ كثيراً عن كلِّ اللَّيالي الماضية . فقد اعترتْها رغبةٌ عارمةٌ، لتدفِئَ جسدَها الذي كاد أنْ يتجمَّدَ من طول مكثِها في كهوفِ السكونِ ، والانتظارِ ملتحفةً بالترقُّبِ، والتمنّي . خلعَتْ عنها الارتباك ،والتردد اللذين طالما أوقفا سريان الشهوة في دمائها، وجعلاها تعود دائما من حيث أتت . وحين أجهدها الفحيحُ النابضُ في جسدها ،والعطشُ الذي اجتاح خلاياها اتَّخذت قرارَها دون تردٍ . وقررت أنْ تَرْوِيَ عطشَها مهما كان الثمنُ مؤلماً، وفادحاً ! بهدوء تسلَّلتْ إلى حجرته ، ومن خطِّ سيرٍ تعرفه جيدا استقرت داخلها ..!

فكم اعتادت أن تدخلَ وتخرجَ في مراتٍ كثيرةٍ سابقةٍ، دون أَنْ تمسَّهُ أو يمسَّهَا . لكنَّ هذه المرة كان بداخلها إصرارٌ على أنْ تفعلَ به ما تريد . راحت تتأمل كل تفاصيلِ حجرتِهِ.. فراشَه الوثيرَ، والشرشف ذا اللون البنفسجيّ الفاتح ، القميصَ المتسخَ الملقَى هناك ، علبةَ السجائر نصفَ الفارغة على حافة المنضدة ، بقايا الشاي في الأكواب، ورسوماتِ القلوبِ الملونةِ عند حافةِ الجَوْرَبِ السوداءِ . رَنَتْ إلى الساعة المعلقة كأنما تقدِّرُ الوقتَ المتبقي للحظةِ لقائهما ، ثم راحتْ تحركُ جسدَها فَرِحَةً يمينا ، ويسارا ، للأمام وللخلف ،وكأنها على أنغامٍ تراقِصُهَا تزيد فحيحَ الشوقِ اشتعالا، هذه الليلةُ ستكون ليلَتَها سيأتي إليها وستأتي إليه . ستسكن إليه ويسكن إليها ، ستنسى عندَه ، وسينسى عندَها ما وسعهما النسيانُ سَيُبَلِّلُ نداهُ ما يبس منها. ستشتم رائحةَ شوقِه ستلامس نعومتُها مسامَ خشونتِه ، ستتلذَّذُ باسمرار جسدِهِ، وستعطيه الفرصةَ كاملةً لاكتشاف مجاهلِهَا وأحراشِهَا العطشى .. سَتُدخِلُهُ في بؤرة التوحُّشِ ليظلَّ يدورُ في مداراتِها يجاهِرُ بالدخول يجاهر بالخروج يجاهر بالتعب . راحت تراوغ حياءها ، وتمعن في تخيل إشراقة الجسد من فيض التلامس الصامت ، وفوضى الامتزاج الصاخبة .. تُراها أين ستختبئ لتفاجئه ..؟

وأي الأوضاع ستتخذ لعربدته..؟

وكيف سيتشكل جسدُها في لحظة ألماً والتئاماً لا بُرْءَ منهما..؟

.. تراها ستنجح في أنْ تورثَه الإيمانَ بكراهية الفراق ..؟؟

بعد تفكير اختارت المشجب الذي يضع عليه ملابسه ، ولا مبالية تكوَّرَتْ على

ذاتها، وراوغت حركتَها لتبقى حبيسة انتظارها ..!
عند آخر الليل عاد مترنّحاً كعادته تفوحُ رائحةُ الخمر من أنفاسه اللاهثة ، وهو يحاول أن ينسى أيامَ عمره التي انفلتت من يديه لأسباب لا يفهمها . كان دائم الإصرار على نسيان شهادتِه الجامعيةِ، حبيبتَه الغائبةَ ، وظيفتَه التي التحق بها ، ومفرداتِ راتبه الذي يتسلَّمُه ! كان يحاول أن ينسى خُططَ الوطن المستقبلية للتغلب على الزحام، حوادث الطرقات ، تكدس القمامة، وازدياد معدلات السرطان تلك الخطط التي يتوارثها الحكَّامُ واحدا تلو الآخر. مترنحا خلع ملابسه قطعةً وراء قطعةٍ ثم مَدَّ يديه إلى الراديو فانسابت أغنيةٌ حاولتْ أن تأخذه للبعيد إلا أنه انفلت من كلماتها وأصاخ السمع جيداً ... تملكه إحساسٌ لا يراوَغُ بأن هناك وجودا ما ، رائحة ما، حركة ما ، تتملك المكان ، وتسيطر على اللحظة، لتعتريَه كعصفٍ ، و تناوشَه كصمت ، ثم تناغيه كطفلٍ راح يبحث، ويتفقد في كلِّ الأركان فلم يجدْ شيئاً . التقط ملابس النوم مِن على المشجب، وارتمى على الفراش لاعناً الخمر وهذيانه ، لاعنا الحب وأحزانه ، لاعنا الصمت ومترادفاته، لاعنا الفقر وأتباعه، لاعنا الوطن وعشاقه . وفي لحظة خاطفة ودون أي تردد أو مراوغة كانت قد انقضَّتْ عليه، ونالت وطَرَهَا منه ... راح يصرخُ صراخاً حاداً وعنيفاً يعوي ويعوي واضعا يديه على مكان الألم أما هى فقد انزلقت بخفة ، وانسابت بهدوء، وسارعت بالفرار إلى حيث الشجر الجاف الواقف في الخلاء خلف غرفته ولم تترك وراءها من أثر سوى الألمِ ، وعمقِ الآهات ، ودموعٍ تنساب حارَّةً قُبيل فقدان الوعي والسقوط